فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

١- آدم عليه السلام
٢- نوح عليه السلام
٣- هود عليه السلام
٤- صالح عليه السلام
٥- إبراهيم عليه السلام
٦- إسماعيل عليه السلام
٧- يُوسُف عليه السلام
٨- شُعيب عليه السلام
٩- أيّوب عليه السلام
١٠- يونس عليه السلام
١١- موسى عليه السلام
١٢- داود عليه السلام
١٣- سُليمان عليه السلام
١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
١٥- عيسى عليه السلام
١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتَم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

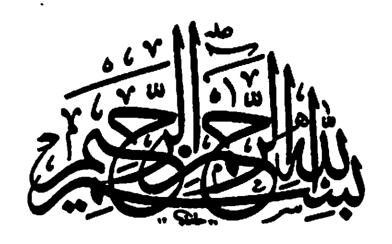
قال الله تعالى: (**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاثُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلمُؤْمِنِيْن**)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ ـ 2001 م

عنوان الدار :

سورية ـ حلب ـ خلف الفندق السياحي ـ شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسَبُ هُودٍ

هُو هُوْدُ بْنِ شَالخٍ وَيَمْتَدُّ نَسَبُهُ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهُو مِنْ قَبِيْلَةٍ يُقَالُ لَها: قَبِيْلةُ عَادٍ. وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَربيَّةٌ تَسْكُنُ مِنْطَقَةِ الأَحْقَافِ بَيْنَ عُمَانَ وَحَضْرَمَوْتَ وَبِأَرْضٍ مُشْرِفَةٍ عَلَى البَحْرِ يُقَال لهَا: السِّحْرُ وَاسْمُ وَادِيْهِمْ مُغِيْثٌ.

وَكَانَتْ عَادٌ تَسْكُنُ الخِيَامَ ذَاتَ الأَعْمِدَةِ الضَّخَامِ وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُم هَذَا فِيْ قَوْلِهِ تَعَالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾[١].

وَقِيلَ إِنَّ هُوْداً أَوَّلُ مَنْ تَكَلمَ العَرَبِيَّةَ وَقِيْل غَيْرُ ذَلكَ وَاللهُ أَعْلمُ.

---

(١) سورة: الفجر (٦، ٧، ٨).

وَيُقَال للعَرَبِ الذِيْنَ عَاشُوا قَبْل إسْمَاعِيْل عَليْهِ السَّلامُ: العَرَبُ العَارِبَةُ، وَمِنْهُم قَبَائِلُ عَادٍ، وَثمودَ، وَجُرْهُمٍ... وَغَيْرُهُمْ وَأمَّا العَرَبُ الذِيْنَ عَاشُوا بَعْدَ إسْمَاعيلَ بْنِ إبْرَاهِيْمَ الخَليْلِ عَليْهِمَا السَّلامُ فَهُمُ العَرَبُ المسْتَعْرِبَةُ. وَكَانَ إسْمَاعِيْلُ عَليهِ السَّلامُ أوَّلَ مَنْ تَكلمَ بِالعَرَبيَّةِ الفَصِيْحَةِ البَلِيْغَةِ.

هوْدٌ النبي

بَعْدَ أنْ أهْلكَ اللهُ عَزَّ وَجَل، قَوْمَ نُوْحٍ عَليْهِ السَّلَامُ، الذِيْنَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الأوْثَانَ وَالأصْنَامَ وَلمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الأرْضِ، أحَدٌ مِنَ الكُفَّارِ عَبَدةِ الأصْنَامِ، بَعْدَ الطُّوْفَانِ الذِيْ أتَى عَلَى الكَفَرَةِ فَأهْلكَهُمْ، عَادَ النَّاسُ مَرَّةً أخْرَى لعِبَادَةِ الأوْثَانِ وَالأصْنَامِ، بَعْدَ أنْ نَسُوا تَعَاليْمَ نُوْحٍ عَليْهِ السَّلامُ وَنَصَائِحَهُ.

وَكَانَتْ قَبِيْلةُ عَادٍ الأوْلى أوَّل مَنْ عَبَدَ الأصْنَامَ بَعْدَ الطُّوْفَانِ، وَمِنْ بَيْنِ أصْنَامِهِمْ صَمَدا، وَصَمُودا، وَهَرا.

وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَل، كُلمَا فَسَقَ النَّاسُ وَنَسُوا دِيْنَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ،

وَعَادُوا إلَى عِبَادَةِ الأوْثَانِ دُوْنَ اللهِ عَزَّ وَجَل، أَرْسَل إلَيْهِمْ نَبِيّاً يَهْدِيْهِمْ إلى سَوَاءِ السَبِيْل، وَيُرْشِدُهُمْ إلى الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ، بِمَا يَتَلَقَّى مِنْ تَعَالِيْمَ مِنْ عِنْدَ رَبِّ العَالِمِيْنَ، وَمِنْ بَيْنِ هَؤُلاءِ النَّاسِ، قَوْمُ عَادٍ، الذِيْنَ بَعَثَ اللهُ فِيْهِمْ أخَاهُمْ هُوْداً عَلَيْهِ السَّلامُ، فَدَعَاهُم إلى اللهِ، وَإلى تَرْكِ عِبَادَةِ الأوْثَانِ وَالأصْنَامِ، التي لاتَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ. وَقَدْ وَرَدَتْ قِصَّةُ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، مَعَ قَوْمِهِ عَادٍ فِيْ سُوْرَةِ هُوْد والشُّعَرَاء والأَعْرَاف والتَّوْبَة وص وق وغَيْرِهَا، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1].

وَكَانَ قَوْمُ هُوْدٍ، أشِدَّاءَ جَبَّارِينَ فِيْ أجْسَادِهِم، وَفِي شِدَّةِ بطشهم ، وَقْد مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِذَلكَ، فَقَالَ عَزَّ وَجَل:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً[2] فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة: الأعراف الآية (٦٥).

(٢) بصطة وتروى بسطة: قوة وطولاً.

(٣) سورة: الأعراف الآية (٦٩).

قومُهُ الكافرون

إلا أنَّ قَوْمَ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ قُوَّةٍ وَطُوْلٍ، حَتَّى يُروَى أنَّ طَوِيْلهُمْ، كَانَ يَبْلغُ مِئَةَ ذِرَاعٍ، وَقَصِيْرهُمْ سِتِّينَ. كَانُوا جُفَاةً غِلاظاً، جَبَّارِيْنَ عَبَدُوا الأَصْنَامَ فَأَرْسَلَ اللهُ عَزَّ وَجَل رَجُلاً مِنْهُم، يَدْعُوهُمْ إلى الحَقِّ وَإلى عِبَادَةِ الوَاحِد الأحَدِ، وَوَعَدَهُمْ عَلَى ذَلكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ ثَمَّ حَذَّرَهُمْ مِنْ مُخَالفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل. لكِنَّ طُغَاتَهُم وَزُعَمَاءَهُمْ طَغَوْا وَبَغَوْا، وَرَفَضُوا دَعْوَةَ هُوْدٍ، الذِيْ يَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَا تَوَارَثُوهُ عَنِ الآبَاءِ وَالأجْدَادِ، وَزَعَمُوا أنَّ مَا يَدْعُوهُمْ إليْهِ بَاطِلٌ لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرهُم، بَل الأصْنَامُ هِيَ التِي يُرتَجَى مِنْهَا الخَيْرُ وَالنَّصْرُ وَالرِزْقُ العَمِيْمُ، وَلمْ يَكْتَفُوا بِذَلكَ بَل رَاحُوا يُشَكِّكُوْنَ فِيْ صِدْقِ دَعْوَاهُ، وَيَقُولُونَ مَا أنْتَ إلا كَاذِبٌ فِي دَعْوَاكَ التِي تَزْعُمُ فِيْهَا أنَّ اللهَ أرْسَلكَ.

وَحَالُ هَؤُلاءِ كَحَال قَوْمِ نُوْحٍ عَليْهِ السَّلامُ، وَكَحَال قَوْمِ كُل الأنْبِيَاءِ وَالرُّسُل، الذِينَ أرْسَلهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَل لهِدَايَتِهِم

وَإرشَادِهِم، يَقُول اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1].

فَقَال هُوْدٌ عَليْهِ السَّلامُ، يَاقَوْمِ ليْسَ الأمْرُ كَمَا تَعْتَقِدُونَ، وَليْسَ بِي سَفَاهَةٌ[2] وَمَا أنَا إلا رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ رَبٍّ العَالمِينَ، أرْسِلْتُ رَحْمَةً لكُمْ، لأنْتَشِلكُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الغَوَايَةِ وَ الضَّلالةِ، وَلأخَلِّصَكُم مِمَّا أنْتُمْ فِيْهِ مِنْ جَهْل وَكُفْرٍ، وَلأرُدَّكُمْ إلى اللهِ رَدَّاً جَمِيْلاً. يقُول اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[3].

وَلكِنَّ قَوْمَهُ الجبَّارِينَ صَمُّوا آذَانَهُم التِي لمْ تَسْمَعْ كَلمَاتِ الحَقِّ وَالهُدَى، بَل ذَهَبُوا إلى أبْعَدَ مِنْ ذَلكَ، فَعَلى الرَّغْمِ مِنْ إشْفَاقِهِ عَليْهِم وَحُبِّهِ لهُمْ، وَنُصْحِهِ إيَّاهُمْ، عَرَضُوا عَليْهِ، بِأنَّهُ إنْ كَانَ يُرِيْدُ مَالاً أوْ أجْرَاً أعْطَوْهُ عَلَى أنْ يَكُفَّ عَمَّا جَاءَ بِهِ، وَكَأنَّ

---

(١) سورة الأعراف (٦٦).

(٢) السفيه: الجاهل والطائش.

(٣) سورة الأعراف / ٦٧ ـ ٦٨/ .

كُفَّارَ الأَرْضِ مُتَّفِقُونَ فِيْ آرَائِهِمْ وَمُتَشَابِهُونَ فِيْ حُجَجِهِمْ، وَإِنْ تَبَاعَدَتِ السِّنُونَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ، فَهَاهُمْ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ، يَعْرِضُونَ عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ مَاعَرَضَهُ كُفَّارُ قَوْمِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلكنْ كَيْفَ لِهَذِهِ العُقُوْل الجَاحِدَةِ الجَاهِلةِ، أَنْ تَعْقِلَ أَنَّ نَبِيّاً اصْطَفَاهُ اللهُ مِنْ بَينِ خَلقِهِ، لِيُرْشِدَ النَّاسَ وَيَهْدِيَهُمْ إلى سَوَاءِ السَّبِيلِ، يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَ مِثْل هَذِهِ العُرُوضِ الدَّنِيْئَةِ.

وَهَا هُوَ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، يَرُدُّ عَلَيْهِم، فَهُوَ لا يَطْلبُ مِنْهُم أَجْراً أَوْ جَزَاءً، فَمَا أَجْرُهُ إلا عَلَى الذِيْ خَلقَهُ، يَقُول اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

وَيُحَاوِل الكَافِرُوْنَ بِحُجَجِهِمُ الوَاهِيَةِ(٢)، كَمَا حَاوَل مُشْرِكُو مَكَّةَ، أَنْ يُثَبِّطُوا مِنْ عَزِيْمَةِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَيَثْنُوْه عَمَّا جَاءَ بِهِ، فَيَطْلبُونَ مِنْهُ آيَةً(٣) عَلَى مَا يَزْعُمُ، أَوْ بُرْهَاناً يُثْبِتُ كَلامَهُ، ثُمَّ

---

(١) سورة هود (٥١).

(٢) الواهية: الضعيفة.

(٣) آية: دليلاً وبرهاناً.

يَتَّهِمُوْنَهُ بِالخَبَل وَالجُنُونِ فِي عَقْلِهِ:

﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ[1] وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[2].

وَوَقَفَ هُوْدٌ عَليْهِ السَّلامُ، مُتَحَدِّيَاً الكَافِرِيْنَ، وَاثِقَاً مِنْ تَأْيِيْدِ اللهِ عَزَّ وَجَل وَنَصْرِهِ، مُدْرِكاً أَنَّ مَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ غَيْرِ اللهِ لا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ، مُتَوَكِّلاً عَلَى اللهِ فَاطِرِ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ إِذَاً غَيْرُ خَائِفٍ مِنْ أَحَدٍ، وَلا يُبَالِي بِأَحَدٍ، مَادَامَ اللهُ عَزَّ وَجَل يَنْصُرُهُ بِتَأْيِيْدِهِ:

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

وَلَمَّا انْقَطَعَتِ الحِيَل بِقَومِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، ابْتَدَعُوا حِيْلَةً جَدِيْدَةً، وَتَذَرَّعوا بِحُجَّةٍ ضَعِيفَةٍ، كَيْفَ يُرْسِل اللهُ نَبِيَّاً مِنَ البَشَرِ؟ يَأْكُل مِمَّا يَأْكُل قَوْمُهُ، وَيَشْرَبُ كَمَا يَشْرَبُونَ، وَلَمْ تُطِقْ عُقُولَهُمُ

---

(١) بينة: دليل.

(٢) سورة: هود (٥٣، ٥٤).

(٣) سورة: هود (٥٤، ٥٥، ٥٦).

المُتَحَجِّرَةُ أنْ يَقبَلوا بِنَبِيٍّ مِنَ البَشَرِ، كَمَا أنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ لمْ يُطِيقُوا أنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ، ﷺ رَسُولاً بَشَرِيّاً، فَقَال تَعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ[1] مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾[2].

فَيَقُول لهُمْ هُودٌ عَليْهِ السلامُ، بَعْدَ أنِ اسْتَنْكرُوا مِنْ بَعْثِهِ بَشَراً، وَعَجِبُوا مِنْ ذَلكَ أيَّمَا عَجَبٍ:

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3].

فَالأمْرُ ليْسَ بِعَجِيْبٍ يَقُول اللهُ عَزَّ وَجَل:

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم

---

(١) الملأ: السادة الزعماء.

(٢) سورة: المؤمنون الآية (٣٣، ٣٤، ٣٥).

(٣) سورة: الأعراف (٦٣).

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾[1].

وَأنكَرَ قَوْمُ هُوْدٍ عَليْهِ السَّلامُ، يَومَ البَعْثِ بَل اسْتَنْكَرُوا أنْ تَقُومَ الأجْسَادُ بَعْدَ أنْ بَليَتْ وَصَارَتْ تُرَاباً وَعِظَاماً وَقَالوا: هَيْهَاتَ هَيْهاتَ، أيْ أنَّ هَذَا الأمْرَ بَعِيْدُ الحُصُول، وَأنَّ حَياتَهُم تِلكَ مَاهِيَ إلا الحَيَاةُ الدُّنْيَا يَعِيْشُونَ وَيَمُوتُونَ وَأنَّهُم غَيْرُ مَبْعُوثينَ فَكَانُوا كَمَنْ يَقُول: أرْحَامٌ تَدْفَعُ، وَأرْضٌ تَبلعُ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ، فَاعْتِقَادُهُم هَذَا لا يَتَّفِقُ بِحَال مِنَ الأحْوَال مَعَ العَقْل السَّلِيْمِ، وَالمَنْطِقِ القَوِيْمِ، فَلا بُدَّ مِنْ يَومٍ يُبْعَثُ فِيْهِ الخَلقُ، لِيُوضَعُوا فِي كِفَّةِ المِيْزَانِ فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَازَ وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ خَسِرَ وَبَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَل.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ[2] عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾[3].

(١) سورة: الإسراء الآية (٩٤، ٩٥).

(٢) افترى: اختلق الكذب.

(٣) سورة: المؤمنون (٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨).

وَحَسِبَ هَؤُلاءِ الكَفَرَةُ أَنَّهُم خَالدُونَ فِي الأَرْضِ، وَلِهَذَا أَخَذُوا يَبْنُونَ بِكُل مَكَان مُرْتَفِعٍ، بِنَاءً شَاهِقاً عَظِيماً، عَلَّهُ يَحْمِيْهِمْ مِنَ المَوتِ، الذِيْ هُوَ مُدْرِكُهُمْ أَنَّى كَانُوا وَلَوْ كَانُوا فِي بُرُوْجٍ مُشَيَّدَةٍ:

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ[1] ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ[2] لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[3].

ألا بُعْدَاً لَكُمْ أَيُّهَا المُجْرِمُون، هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ أَنْ تُنْقَذُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيْمٍ، هَذَا اليَومُ الذِيْ سَيَحِلُّ بِكُمْ عَاجِلاً أَمْ آجِلاً، فَلا مُغِيْثَ لكُمْ أَوْ مُنْقِذَ إلا لمَنْ تَابَ وَاتَّقَى وَأَطَاعَ اللهَ الذِيْ أَنْعَمَ عَلَيْكُم بِالنِّعَمِ الكَثِيرَةِ، أفَلا يَسْتَحِقُّ أَنْ تَشْكُرُوهُ وَتَحْمَدُوهُ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ:

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4].

---

(١) ريع: مكان مرتفع.

(٢) مصانع: في القصور أو مآخذ الماء.

(٣) سورة: الشعراء (١٢٨، ١٢٩).

(٤) سورة: الشعراء (١٣٠ إلى ١٣٥).

هلاكُ عاد

وَبَلغَ كُفْرُ عَادٍ وَطُغْيَانُهُمْ مُنْتَهَاهُ، رَغْمَ كُل المُحَاوَلاَتِ التِي بَذَلهَا هُودٌ عَليْهِ السَّلامُ فِي إصْلاحِهِم، وَإرْشَادِهِم فَقَدْ ظَلُّوْا مُتَمَسكِينَ بِعِبَادَةِ الأوْثَانِ وَالأصْنَامِ، فَلمْ تَلِنْ عُقُولهُم المْتَحَجِّرَةُ، وَلمْ تَتَفَتَّحْ أذْهَانُهُم الصَّدِئَةُ، وَلمْ يَستَمِعُوا إلى صَوْتِ الحَقِّ الذِيْ أرَادَ لهُمُ الخَيْرَ وَالنَّعِيْمَ، وَوَقفُوا بِصَلفٍ وَعِنَادٍ، مُتَحَدِّينَ هُوْداً عَليْهِ السَّلامُ قَائِلِينَ لهُ:

لنْ نَترُكَ مَا كَانَ عَليْهِ آبَاؤُنَا وَأجْدَادُنَا وَسَنَظَلُّ عَلَى دِيْنِهِمْ مِنْ عِبَادَةٍ للأوْثَانِ وَالأصْنَامِ مَهْمَا حَاوَلتَ، وَسَوَاءٌ أوَعَظْتَنا أمْ لمْ تَعِظْنا:

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾(١).

وَيُتَابِعُ الكَافِرُونَ تَحَدِّيَهُمْ لِهُودٍ عَليْهِ السَّلامُ، قَائِلينَ لهُ:

---

(١) سورة: الشعراء (١٣٦، ١٣٧، ١٣٨).

- هَل بَعَثَكَ ربُّكَ لنَعْبُدَهُ وَحْدَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ، وَنَتْرُكَ مَا كَانَ عَليْهِ آبَاؤنَا؟ إنَّكَ إذاً مِنَ الجَاهِليْنَ، فَإنْ كُنْتَ صَادِقاً فِي دَعْوَاكَ، فَاطْلبْ مِنْ ربِّكَ أنْ يُنْزِل علَيْنَا عَذَابَهُ.

عِنْدَئِذٍ تَصَدَّى لهُمْ هُوْدٌ عَليهِ السَّلامُ وَقَال:

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[1].

الآنَ وَقَدْ بَلَغَ غَيُّكُم كُل مَبْلغٍ، وَجَبَ عَليْكُمُ الرِّجْسُ وَالغَضَبُ مِنَ اللهِ أتَرْفُضُونَ عِبَادَةَ اللهِ عَزَّ وَجَل وَتَعْبُدُون أصْنَاماً صَنَعْتُمُوهَا بِأيْدِيكُم، مَا أنْزَل اللهُ بِهَا مِنْ سُلطَانٍ، بَل وَربَّمَا جِعْتُمْ فَأكَلتُمُوْهَا!! كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مُشْركُو مَكَّةَ وَكَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الأصْنَامُ آلهَةً؟ وَهِيَ لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ بَل لا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ الضُّرِّ عَنْ نَفْسِهَا، انْظُرْ إلى قَوْل أحَد الشُّعَرَاءِ:

أربٌّ يبُوْل الثُّعْلُبَانُ بِرَأسِهِ لقَدْ ذَل مَنْ بَالتْ عَليْهِ الثَّعَالبُ

فَانْتَظِرُوا الآنَ عَذَابَ اللهِ الوَاقِعَ بِكُمْ وَبَأسَهُ إنَّ بَأسَهُ شَدِيْدٌ يَقُول تَعَالى:

(١) سورة الأعراف (٧١).

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً(١) فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجل أوَّل مَا ابْتَدأهُمُ العَذَابَ، مَنَعَ عَنْهُمُ القَطْرَ(٣) فَأَصْبَحُوا مُجْدِبِيْنَ مُمْحليْنَ فَاسْتَغَاثُوا وَرَجَوُا السُّقْيَا وَالمَطَرَ، وَعِنْدَما رَأوْا بَعْضَ الغُيُومِ الدُّكْنِ، حَسِبُوهَا سُقْيَا رَحْمَةٍ، فَاسْتَبْشَرُوا خَيْراً وَظَنُّوا أنَّ المْطَرَ سَوْفَ يُغِيْثُهُم، وَإذْ بِهَا سُقْيَا عَذَابٍ، قَال تَعَالى:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٤).

فَأصِيبَتْ عَادٌ بِالفَاجِعَةِ وَهَبَّتْ تِلكَ الرِّيْحُ العَاتِيَةُ، لاتُبْقِيْ وَلا تَذَرُ، وَهَلكَ الكَافِرُونَ المُجْرِمُونَ، بَعْدَ أنْ سَخَّرَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَال وَثَمَانِيَةَ أيَّامٍ كَامِلاتٍ، يَقُول اللهُ عز وَجَل:

---

(١) غثاء: النبت اليابس.

(٢) سورة: المؤمنون (٣٩، ٤٠، ٤١).

(٣) القطرُ: المطر.

(٤) سورة: الأحقاف (٢٤، ٢٥).

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ[1] عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ
لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا[2] فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ[3]
خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[4].

وَأخِيْرَاً هَلمُّوا نَدْعُو مَعَ رَسُوْل اللهِ، ﷺ إذَا مَا عَصَفَتِ الرِّيْحُ.

اللهُمَّ إنِّي أسْألكَ خَيْرَها وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أرْسِلتْ بِهِ وَأعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيْهَا وَشَرِّ مَا أرسِلتْ بِهِ.

* * * * *

(١) صرصر: شديدة جداً.

(٢) حسوماً: كاملات متتابعات.

(٣) أعجاز نخل: أغصان نخل ساقطة فارغة.

(٤) سورة: الحاقة الآيات (٦، ٧، ٨).